جامعة الإمام الحسين العلوم الإنسانية الإسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة

IHUIH


# نَقْدُ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ فِي فِكْرِ الثَّوْرَةِ الإِسْلَامِيَّةِ: الجُذُورُ التَّارِيخِيَّةُ فِي العَالَمِ الإِسْلَامِيّ وَالغَرْبِ


مُحْسِن كُلْبَايِكَانِيُّ[1]



الملخّص

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَأْكِيدِ قَادَةِ الثَّوْرَةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَى مَشْرُوعِ إِصْلَاحِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ المُقَارَبَاتِ المُتَعَلِّقَةَ بِهَذَا المَشْرُوعِ تَبَايَنَتْ فِي العَالَمِ الإِسْلَامِيّ وَالغَرْبِ. وَمِنْ هَذَا المَنْظُورِ، فَإِنَّ أَغْلَبَ الإِشْكَالِيَّاتِ الَّتِي تُوَاجِهُ مَشْرُوعَ إِصْلَاحِ عُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ فِي إِيرَانَ تَتَعَلَّقُ بِالمَضَامِينِ وَالمَنْهَجِيَّاتِ. وَلِبُلُوغِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ المَطْلُوبَةِ، لَا بُدَّ مِنَ اعْتِمَادِ رُؤْيَةٍ شَامِلَةٍ لِخَلْفِيَّةِ هَذِهِ العُلُومِ وَتَطَوُّرَاتِهَا المَاضِيَةِ، بِهَدَفِ اسْتِخْلَاصِ الإِشْكَالِيَّاتِ الإِصْلَاحِيَّةِ وَتَقْدِيمِ الحُلُولِ المَنْشُودَةِ. تَتَنَاوَلُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ –بِاعْتِمَادِ المَنْهَجِ الوَصْفِيّ التَّحْلِيلِيّ– إِعَادَةَ قِرَاءَةِ أَفْكَارِ مُفَكِّرِي العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ فِي الحَضَارَتَيْنِ الإِسْلَامِيَّةِ الإِيرَانِيَّةِ وَالغَرْبِيَّةِ، لِتَقْدِيمِ الحُلُولِ فِي مِحْوَرَيْنِ رَئِيسِيَّيْنِ: الأُسُسُ الفَلْسَفِيَّةُ وَالمَنْهَجِيَّاتُ.



معلومات المقالة

جامعة الإمام الحسين

العلوم الإنسانية الإسلامية

المجلد ٣، العدد ٢ (١٤٤٧)، ٣٧-٢٦

تاريخ الإرسال: ٠٤ صفر ١٤٤٧

تاريخ القبول: ٢٥ صفر١٤٤٧

تاريخ النشر: ٢٥ ربيع الاول ١٤٤٧

مراجع: ٠



مراسلة: mog1626@gmail.com



[1]. أُسْتَاذٌ مُسَاعِدٌ بِكُلِّيَّةِ الإِلَهِيّاتِ وَمَعَارِفِ أَهْلِ البَيْتِ. قِسْمُ الفَلْسَفَةِ وَالعُلُومِ الإِسْلَامِيَّةِ، جَامِعَةُ أَصْبَهَانَ. mog1626@gmail.com

## ١– مُقَدِّمَةٌ

لِدِرَاسَةِ مَوْضُوعِ إِصْلَاحِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ دِرَاسَةً رَصِينَةً وَدَقِيقَةً، يَنْبَغِي أَوَّلًا تَوْضِيحُ المَفَاهِيمِ الوَارِدَةِ فِي هَذَا العُنْوَانِ تَوْضِيحًا تَامًّا، لِتَتَبَيَّنَ مَحَالُّ النِّزَاعِ بِوُضُوحٍ. وَالنُّقْطَةُ الجَوْهَرِيَّةُ وَالأَسَاسِيَّةُ فِي هَذَا التَّحْدِيدِ تَكْمُنُ مِنْ جِهَةٍ فِي مُصْطَلَحَيْ "العِلْمِ" وَ"إِسْلَامِيّ" أَوْ "دِينِيّ"، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فِي مَفْهُومَيْ "الإِصْلَاحِ" وَ"أَسْلَمَةِ". ذَلِكَ أَنَّ ثَمَّةَ تَصَوُّرًا وَاضِحًا إِلَى حَدٍّ مَا لِمَفْهُومِ "الإِنْسَانِ" يَشْكُلُ قَاسِمًا مُشْتَرَكًا بَيْنَ الذِّهْنِيَّاتِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ التَّعْرِيفَاتِ اللَّفْظِيَّةَ قَدْ تَخْتَلِفُ مِنْ حَيْثُ المِصْطَلَحَاتُ. وَسَنَنْتَقِلُ لَاحِقًا إِلَى دِرَاسَةِ هَذِهِ المِصْطَلَحَاتِ وَعَلَاقَتِهَا الدِّلَالِيَّةَ بِإِصْلَاحِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ.

### ١.١. الدِّينُ

يُقَدَّمُ اليَوْمَ تَعْرِيفَاتٌ لَاحَصْرَ لِلدِّينِ، كُلٌّ مِنْهَا يَنْظُرُ إِلَى الدِّينِ مِنْ زَاوِيَةٍ وَمَنْظُورٍ خَاصٍّ. إِلَّا أَنَّ الجَامِعَ المُشْتَرَكَ بَيْنَ جَمِيعِ هَذِهِ التَّعْرِيفَاتِ يُمْكِنُ رَصْدُهُ فِي بُعْدَيْنِ: جَوْهَرِ الدِّينِ وَكَيْنُونَتِهِ مِنْ نَاحِيَةٍ، وَمَظْهَرِهِ الخَارِجِيِّ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى. فَمِنْ جِهَةٍ، عَرَّفَ بَعْضُهُمْ جَوْهَرَ الدِّينِ بِأَنَّهُ –مَثَلًا– المُوَاجَهَةُ مَعَ المُقَدَّسِ وَالمُتَعَالِي، أَوْ بِأَنَّهُ الشُّعُورُ بِالتَّبَعِيَّةِ المُطْلَقَةِ لِلأَمْرِ المُتَعَالِي، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، يَرَى آخَرُونَ أَنَّ الدِّينَ هُوَ هَذَا النَّسْقُ الخَارِجِيُّ مِنَ المَعَايِيرِ وَالقِيَمِ، وَاللَّاهُوتِيَّاتِ وَالشَّعَائِرِ. عَلَى أَيِّ حَالٍ، فَإِنَّ المَقْصُودَ بِالدِّينِ فِي بَحْثِنَا يَتَوَافَقُ مَعَ أَيٍّ مِنْ هَذِهِ التَّعْرِيفَاتِ.

### ٢.١. العلم

مِنْ أَكْثَرِ جَوَانِبِ النِّقَاشِ إِشْكَالِيَّةً هُوَ تَحْدِيدُ مَعْنَى هَذَا المِصْطَلَحِ البَسِيطِ شَكْلِيًّا والعَمِيمِ انتِشَارًا، لَعَلَّهُ المَنْشَأُ الأَسَاسِيُّ لِهَذِهِ الإِشْكَالِيَّةِ. يُعَرَّفُ العِلْمُ مِنْ مَنْظُورٍ حَدِيثٍ بِأَنَّهُ نَوْعَانِ: الحَدِيثُ وَالتَّقْلِيدِيُّ، فَالحَدِيثُ مِنْهُ يُقَابِلُ المَعْرِفَةَ. فَالعِلْمُ يُمَثِّلُ نَمَطًا جَدِيدًا لِكَسْبِ المَعْرِفَةِ فِي العَالَمِ الحَدِيثِ، تَرَكَ الأَنْمَاطَ التَّقْلِيدِيَّةَ، وَيَتَّبِعُ فِي غَالِبِ أَشْكَالِهِ مَنْهَجَ الوَضْعِيَّةِ (البُوزِيتِيفِيَّةِ). فِي هَذَا النَّمَطِ الجَدِيدِ، تُعْتَبَرُ طَرِيقَةُ المَعْرِفَةِ وَكَسْبِهَا أَمْرًا جَوْهَرِيًّا، وَأَيُّ شَيْءٍ يُحَصَّلُ بِغَيْرِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي يَقْبَلُهَا العِلْمُ يُرْفَضُ.

فِي هَذَا النَّمَطِ، لَا يُهَمُّ فِي مَرْحَلَةِ الكَشْفِ وَجَمْعِ مَوَادِّ المَعْرِفَةِ اتِّبَاعُ نَهْجٍ مُعَيَّنٍ، لَكِنْ فِي مَرْحَلَةِ الحُكْمِ وَالتَّقْيِيمِ يَجِبُ اتِّبَاعُ نَهْجِ العِلْمِ، الَّذِي قَدْ يَكُونُ الوَضْعِيَّةَ أَوْ القَابِلِيَّةَ لِلتَّكْذِيبِ (الفَلسَفَةُ البُوبِرِيَّةُ) أَوْ أَيُّ مَنْهَجٍ آخَرَ. عَلَى عَكْسِ المَعْرِفَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ كُلُّ مَعْرِفَةٍ فِيهَا تُقَيَّمُ فِي حَدُودِهَا وَبِأَدَوَاتِهَا، فِي هَذَا النَّمَطِ الجَدِيدِ يَجِبُ احْتِرَامُ مَنْهَجِ العِلْمِ، وَإِلَّا فَإِنَّ المَعْرِفَةَ المُكْتَشَفَةَ سَتَكُونُ غَيْرَ عِلْمِيَّةٍ، وَإِنْ كَانَتْ دِينِيَّةً أَوْ عِرْفَانِيَّةً أَوْ كَلَامِيَّةً أَوْ أَدَبِيَّةً، فَأَيًّا تَكُنْ، لَنْ تَكُونَ عِلْمِيَّةً وَمَوْثُوقًا بِهَا.

وَبِالتَّالِي، فَالِاكْتِشَافَاتُ مِثْلَ الِاكْتِشَافَاتِ الدِّينِيَّةِ، الَّتِي تَكُونُ قِيمِيَّةً وَهَنْجَرِيَّةً (مَعْيَارِيَّةً) وَلَيْسَتْ خَاضِعَةً لِلتَّقْيِيمِ العِلْمِيِّ فِي مَرْحَلَةِ الكَشْفِ، لَا تُعَدُّ مِنَ الوَاقِعِيَّاتِ العِلْمِيَّةِ، وَفِي هَذَا السِّيَاقِ، حَتَّى المُعْجِزَاتُ تُنْفَى بِسُهُولَةٍ.

لِذَلِكَ، يَجِبُ التَّنَبُّهُ هُنَا لِلِاخْتِلَافِ بَيْنَ العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ، حَيْثُ أَنَّ مَجَالَ الأَوَّلِ سَمَاوِيٌّ وَكُلِّيٌّ، وَمَجَالَ الثَّانِي أَرْضِيٌّ وَجُزْئِيٌّ. وَنَتِيجَةً لِذَلِكَ، إِذَا كَانَ المُرَادُ بِالعِلْمِ هُوَ العِلْمُ الحَدِيثُ، فَإِنَّ أَسْلَمَتَهُ أَوْ جَعْلَهُ دِينِيًّا سَيَحْمِلُ تَنَاقُضًا فِي ذَاتِهِ. لِأَنَّ العِلْمَ لَا يَقْبَلُ طَرِيقَةَ الدِّينِ فِي عَرْضِ المَعْرِفَةِ، وَمَثَلُ العِلْمِ الدِّينِيِّ هُوَ كَإِثْبَاتِ الأَمْرِ غَيْرِ التَّجْرِيبِيِّ بِطَرِيقَةٍ تَجْرِيبِيَّةٍ، أَيْ: عِلْمٌ غَيْرُ عِلْمٍ.

هَذَا يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ ثَمَّةَ تَحَدٍّ، فَإِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي مَنْهَجِ العِلْمِ وَمَنْهَجِ الدِّينِ. وَإِذَا أَرَدْنَا تَحْدِيدَ مَوْقِعِ العِلْمِ وَالدِّينِ بِطَرِيقَةٍ مَنْهَجِيَّةٍ وَقَائِمَةٍ عَلَى قَوَاعِدَ، فَإِنَّ المَسْأَلَةَ الأُولَى هِيَ دِرَاسَةُ مَنْهَجِ كُلٍّ مِنْهُمَا، كَمَا فَعَلَ (هِرْشِلْ) حَيْثُ مَيَّزَ بَيْنَ مَرْحَلَةِ الكَشْفِ وَمَرْحَلَةِ الحُكْمِ، وَاعْتَبَرَ الأُولَى مُضَافَةً إِلَى الأَيْدْيُولُوجِيَا، كَالدِّينِ وَغَيْرِهِ.

### ٣.١. الإصْلاحُ وَالأَسْلَمَةُ

يُمْكِنُ اعْتِبَارُ نَحْوِ نِصْفِ الِاعْتِرَاضَاتِ الوَارِدَةِ عَلَى مَنْاقَشَةِ إصْلاحِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ مُرْتَبِطَةً بِأَسْلَمَتِهَا، لِأَنَّ الأَسْلَمَةَ تُوَاجِهُ مُشْكِلَاتٍ جَوْهَرِيَّةً مِنْ وَجْهَتَيْنِ:

مِنْ جِهَةٍ، يُوجَّهُ اعْتِرَاضٌ بِأَنَّ القَائِلِينَ بِالأَسْلَمَةِ قَدْ قَبِلُوا هُمْ أَنْفُسُهُمْ بِالفِكْرِ غَيْرِ الإِسْلَامِيِّ، ثُمَّ هُمْ فِي المَرْحَلَةِ التَّالِيَةِ يُحَاوِلُونَ عَرْضَ مُنْتَجٍ غَيْرِ قَابِلٍ لِلِاسْتِهْلَاكِ بِلَوْنٍ آخَرَ.

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، يُطْرَحُ اعْتِرَاضٌ بِأَنَّ الإِسْلَامَ يَقَعُ فِي إِطَارِ المَفَاهِيمِ الثَّقَافِيَّةِ الإِنْسَانِيَّةِ الأُخْرَى، وَكَما أَنَّ المَارْكِسِيَّةَ وَنَحْوَهَا تُؤَدِّي إِلَى الِاخْتِزَالِ فِي العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ، فَكَذَلِكَ الإِسْلَامُ سَيَنْزِلُ بِهَا إِلَى هَذَا المُسْتَوَى. وَيَسْتَدِلُّ أَصْحَابُ هَذَا الرَّأْيِ لِتَأْيِيدِ فِكْرِهِمْ بِنَظَرِيَّةِ السُّلْطَةِ وَالمَعْرِفَةِ عِنْدَ فُوكُو، حَيْثُ يَزْعُمُونَ أَنَّ النُّقَّادَ الَّذِينَ يَرُدُّونَ العِلْمَ الغَرْبِيَّ بِاسْتِعْمَالِ نَظَرِيَّةِ فُوكُو، يَغْفُلُونَ عَنْ أَنَّ هَذَا المَنْطِقَ نَفْسَهُ سَيَسْتَدِيمُ رَفْضَ العَدِيدِ مِنْ مُكْتَسَبَاتِ الثَّقَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الإِيرَانِيَّةِ.

وَجَبَ التَّنْبِيهُ إِلَى أَنَّ المُرَادَ مِنْ إِصْلاحِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ فِي هَذَا المَشْرُوعِ هُوَ تَهْيِئَةُ الأَرْضِيَّةِ لِازْدِهَارِ العِلْمِ الإِسْلَامِيِّ وَتَنْشِئَةِ العَالِمِ الإِسْلَامِيِّ. فَيَجِبُ تَوْفِيرُ سِيَاقٍ ثَقَافِيٍّ يَضْمَنُ أَلَّا يَنْسَى الفِيزِيَائِيُّ – عِنْدَ وَضْعِهِ النَّظَرِيَّةَ – إِسْلَامَهُ، وَلَا يَتَجَاهَلُ تُرَاثَهُ الإِيمَانِيَّ. وَأَنْ يَتَنَشَّأَ الرِّيَاضِيُّ فِي رَحَابِ الثَّقَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الإِيرَانِيَّةِ، عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ هَدَفُ كُلِّ مُنَظِّرٍ مُجَرَّدَ الِالْتِجَاءِ مُبَاشَرَةً إِلَى النُّصُوصِ الوَحْيِيَّةِ وَالرِّوَايَاتِ لِبِنَاءِ نَظَرِيَّتِهِ، بَلْ أَنْ يَنْمُوَ فِي فَضَاءَاتِ الإِسْلَامِ، وَأَنْ يُقَدِّمَ رَأْيَهُ التَّخَصُّصِيَّ مُسْتَمِدًّا مِنْ تَرْبِيَتِهِ فِي حِضْنِ هَذَا الدِّينِ. فَمِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ المُؤَلِّفِ، هَذَا هُوَ المَقْصُودُ الحَقِيقِيُّ لِلإِصْلاحِ. وَلِهَذَا، يَجِبُ التَّأَمُّلُ الجَادُّ فِي هَذِهِ التَّمْيِيزَاتِ لِتَسْتَبِينَ حَقِيقَةُ هَدَفِ هَذَا المَشْرُوعِ وَمَسَارُهُ المُحَدَّدُ بِدِقَّةٍ وَوَضُوحٍ.

### ٢– ٢. تَحْدِيدُ الإِشْكَالِيَّةِ

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ إِمْكَانِيَّةِ بَسْطِ قَوَائِمَ مُطَوَّلَةٍ فِي تَحْلِيلِ إِشْكَالِيَّةِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ وَتَحَدِّيَاتِهَا، فَإِنَّنَا سَنُشِيرُ فِيمَا يَلِي إِلَى بَعْضِ أَهَمِّ التَّحَدِّيَاتِ الَّتِي تُوَاجِهُنَا حَسَبَ رَأْيِ جُمْهُورِ المُتَخَصِّصِينَ حَالِيًّا. وَتَشْمَلُ هَذِهِ الإِشْكَالِيَّاتُ نَقْدَاتِ عِلْيَةِ القَوْمِ وَأَصْحَابِ الفِكْرِ مِنَ القِيَادَةِ الثَّوْرِيَّةِ وَالشَّهِيدِ مُطَهَّرِي حَتَّى المُثَقَّفِينَ الدِّينِيِّينَ.

الف. فَرَاغٌ مَضْمُونِيٌّ: وَهَذَا بِدَوْرِهِ يَنْقَسِمُ إِلَى فَرْعَيْنِ:

- الأَوَّلُ: العَجْزُ عَنْ إِنْتَاجِ الفِكْرِ وَتَأْصِيلِ المَوْجُودِ.
- الثَّانِي: الِاقْتِصَارُ فِي التَّعْلِيمِ عَلَى مُجَرَّدِ نَقْلِ المُتَرْجَمَاتِ.

ب. عَدَمُ تَجْسِيدِ نُمُوذَجٍ لِعُلَمَاءِ هَذِهِ التَّخَصُّصَاتِ: وَهَذِهِ المُشْكَلَةُ تُعَدُّ مِنَ المُعْضِلَاتِ المِفْتَاحِيَّةِ، لِأَنَّ عَدَمَ التَّعَرُّفِ الصَّحِيحِ عَلَى عُظَمَاءِ الفِكْرِ مِثْلَ ابْنِ سِينَا وَالفَارَابِيِّ، وَعَدَمَ اسْتِخْلَاصِ كُلَاسِيكِيَّاتِهِمْ، سَيَحْرِمُنَا طَبْعًا مِنْ نَظَرِيَّاتٍ وَأَفْكَارٍ أَصِيلَةٍ تُجَابِهُ مُتَطَلَّبَاتِ المُجْتَمَعِ الحَدِيثَةِ.

ج. تَخَلُّفُ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ عَنِ العُلُومِ التِّقْنِيَّةِ وَالتَّجْرِيبِيَّةِ فِي إِيرَانَ: وَهَذَا بِنَاءً عَلَى عَوَامِلَ مِثْلَ:

- مَوْضُوعِيَّةِ العُلُومِ التَّجْرِيبِيَّةِ وَعَدَمِ مَوْضُوعِيَّةِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ.
- عَدَمِ وُجُودِ مِعْيَارٍ لِلتَّشْرِيعِ بِشَأْنِ الإِنْسَانِ كَكَائِنٍ هَادَفٍ، ذِي رُوحٍ وَإِرَادَةٍ وَأَفْعَالٍ ذَاتِ دَلِيلٍ.

وَيَجِبُ التَّنْبِيهُ أَنَّ الغَرَبَ الحَدِيثَ يَسِيرُ فِي اتِّجَاهٍ مُعَاكِسٍ، حَيْثُ تَتَقَدَّمُ الدُّوَلُ المُتَحَضِّرَةُ عَامَّةً فِي العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ أَكْثَرَ مِنَ العُلُومِ التِّقْنِيَّةِ وَالتَّجْرِيبِيَّةِ، فَنَحْنُ الَّذِينَ اسْتَوْرَدْنَا خَاصَّةً الخِطَابَ التَّجْرِيبِيَّ وَالتِّقْنِيَّ.

د. عَقْدَةُ النَّقْصِ وَالخُضُوعُ لَدَى كَثِيرٍ مِنْ خَرِّيجِي وَأَسَاتِذَةِ هَذِهِ التَّخَصُّصَاتِ أَمَامَ النَّظَرِيَّاتِ الغَرْبِيَّةِ: وَهَذِهِ المُشْكَلَةُ – حَسَبَ رَأْيِ مَقَامِ القِيَادَةِ الرَّفِيعِ – تُعَدُّ مِنْ أَكْبَرِ مُشْكِلَاتِ مُنَاقَشَةِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ.

هـ. التَّوَهمُ وَعَقْدَةُ النَّقْصِ أَمَامَ الخُرَافَاتِ وَالجَهَالَةِ الحَدِيثَةِ: تَحْتَ عَنَاوِينَ مِثْلَ العِرْفَانَاتِ الكَوْنِيَّةِ وَحَلَفَائِهِمْ، وَمِنَ الوَاضِحِ أَنَّ الانْخِدَاعَ بِمِثْلِ هَذِهِ المَسَالِكِ العِرْفَانِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ العَشْوَاءِ يَقْضِي عَلَى حَاجَةِ العَقْلِ الإِنْسَانِيّ لِتَقَبُّلِ الفِكْرِ السَّلِيمِ.

## ٣– ٣. أَهَمِيَّةُ إِصْلاحِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ قَائِدِ الثَّوْرَةِ المُعَظَّمِ وَالإِمَامِ الخُمَيْنِيّ (قُدِّسَ سِرُّهُ)

### ١.٣. أَوَّلًا: الإِمَامُ الخُمَيْنِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ)

مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ الإِمَامِ الخُمَيْنِيّ، تَحْتَاجُ العُلُومُ الإِنْسَانِيَّةُ إِلَى إِنْسَانٍ مُلْتَزِمٍ، لِأَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَتَوَفَّرُ عَلَى الالْتِزَامِ بِقَوَاعِدِ الإِسْلَامِ وَأُسُسِهِ المَتِينَةِ المتمَثِّلَةِ فِي التَّوْحِيدِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ بِعَمَلٍ فِي مَجَالِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا وَيَكُونَ مُصِيبَتُهُ الإِضْلَالُ. (الصَّحِيفَةُ النُّورَانِيَّةُ لِلإِمَامِ الخُمَيْنِيّ، ج ١٤، ص ٢٩٢).

وَقَدْ أَشَارَ حَضْرَةُ الإِمَامِ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى الغُورْبَاتْشُوفِ إِلَى ضَعْفِ الأُسُسِ المَعْرِفِيَّةِ لِلغَرَبِ بِهَذِهِ الكَلِمَاتِ البَلِيغَةِ:

«فَكِّرْ مَرَّةً أُخْرَى فِي الرُّؤْيَتَيْنِ لِلْعَالَمِ: المَادِّيَّةِ وَالإِلَاهِيَّةِ. فَأَصْحَابُ الرُّؤْيَةِ المَادِّيَّةِ يَعْتَبِرُونَ الحِسَّ مِعْيَارًا لِلْمَعْرِفَةِ فِي رُؤْيَتِهِمْ لِلْعَالَمِ، وَيَسْتَبْعِدُونَ كُلَّ مَا لَا يُمْكِنُ إِدْرَاكُهُ حِسِّيًّا مِنْ دَائِرَةِ العِلْمِ. وَيُساوُونَ بَيْنَ الوُجُودِ وَالمَادَّةِ، فَلَا يَعْتَرِفُونَ بِوُجُودِ مَا لَا مَادَّةَ لَهُ. وَلِهَذَا، يَعْتَبِرُونَ العَالَمَ الغَيْبِيَّ بِمَا فِيهِ وُجُودُ اللَّهِ تَعَالَى وَالوَحْيُ وَالنُّبُوَّةُ وَاليَوْمُ الآخِرُ، مُجَرَّدَ أَسَاطِيرَ. فِي حِينِ أَنَّ مِعْيَارَ المَعْرِفَةِ فِي الرُّؤْيَةِ الإِلَاهِيَّةِ لِلْعَالَمِ يَشْمَلُ كُلًّا مِنَ الحِسِّ وَالعَقْلِ، وَكُلُّ مَا يُمْكِنُ إِدْرَاكُهُ عَقْلِيًّا يَدْخُلُ فِي دَائِرَةِ العِلْمِ، حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَحْسُوسًا. وَلِذَلِكَ، فَالوُجُودُ أَعَمُّ مِنَ العَالَمِ الغَيْبِيِّ وَالشَّاهِدِ، وَقَدْ يَكُونُ المَوْجُودُ بِلا مَادَّةٍ. وَكَمَا أَنَّ المَوْجُودَ المَادِّيَّ يَرْتَكِزُ عَلَى المَجْرُودِ، فَكَذَلِكَ المَعْرِفَةُ الحِسِّيَّةُ تَعْتَمِدُ عَلَى المَعْرِفَةِ العَقْلِيَّةِ». (رِسَالَةُ الإِمَامِ الخُمَيْنِيّ إِلَى الغُورْبَاتْشُوف، ج ٢١، ١١ دي ١٣٦٧ هـ.ش).

### ٢.٣. ثَانِيًا: مَقَامُ القِيَادَةِ المُعَظَّمَةِ (حَفِظَهُ اللَّهُ)

مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ عَقْدَيْنِ، وَقَدْ أَعْلَنَ السَّمَاحَةُ آيَةِ اللَّهِ الخَامِنَئِيّ (دَامَ ظِلُّهُ) فِي كَثِيرٍ مِنْ خِطَابَاتِهِ عَنْ حَسَّاسِيَّةِ هَذَا المَوْضُوعِ وَأَهَمِيَّةِ إِصْلاحِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ وَمُرَاجَعَتِهَا. وَإِلَى نَمُوذَجٍ مِنْ كَلِمَاتِهِ فِي هَذَا الصَّدَدِ:

«لِلْإِبْدَاعِ العِلْمِيّ – الَّذِي يُعَبَّرُ عَنْهُ فِي ثَقَافَةِ المَعَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ بِـ"الاجْتِهَادِ" – أَمْرَانِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا: أَحَدُهُمَا: القُدْرَةُ العِلْمِيَّةُ، وَالثَّانِي: الجُرْأَةُ العِلْمِيَّةُ. فَالعُلُومُ الإِنْسَانِيَّةُ وَالاجْتِمَاعِيَّةُ وَالسِّيَاسِيَّةُ وَالاقْتِصَادِيَّةُ، وَمُخْتَلَفُ القَضَايَا الَّتِي تَلْزَمُ لِإِدَارَةِ المُجْتَمَعِ وَالدَّوْلَةِ إِدَارَةً عِلْمِيَّةً، تَحْتَاجُ إِلَى الإِبْدَاعِ وَالتَّفْكِيرِ العِلْمِيّ الحَدِيثِ؛ أَيْ إِلَى الاجْتِهَادِ. وَإِنَّمَا المَلَاحَظُ فِي أَجْوَائِنَا العِلْمِيَّةِ –وَهِيَ فِي نَظَرِي مِنْ أَكْبَرِ العُيُوبِ– هُوَ أَنَّنَا لِعُقُودٍ نُكَرِّرُ وَنَقْرَأُ وَنَحْفَظُ وَنَتَعَلَّمُ وَنُعَلِّمُ مُجَرَّدَ نُصُوصٍ وَافِدَةٍ، لَكِنَّنَا لَا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا قُدْرَةَ التَّسَاؤُلِ أَوْ إِقَامَةِ النَّقْدِ! يَجِبُ قِرَاءَةُ النُّصُوصِ العِلْمِيَّةِ وَتَعَلُّمُ العِلْمِ مِنْ أَيِّ مَصْدَرٍ، لَكِنَّ العِلْمَ لِيَسْتَمِرَّ فِي ارْتِقَائِهِ، يَحْتَاجُ إِلَى أَرْوَاحٍ قَوِيَّةٍ رَاسِخَةٍ قَادِرَةٍ تَتَحَلَّى بِجُرْأَةِ دَفْعِ العِلْمِ قُدُمًا. هكَذَا تَحْدُثُ الثَّوْرَاتُ العِلْمِيَّةُ فِي العَالَمِ. فَإِذَا أَرَدْتُمُ التَّقَدُّمَ عِلْمِيًّا، فَعَلَيْكُمْ بِجُرْأَةِ الإِبْدَاعِ. يَجِبُ أَنْ يَتَحَرَّرَ الأُسْتَاذُ وَالطَّالِبُ مِنْ قُيُودِ الجَزْمِيَّاتِ العِلْمِيَّةِ المَفْرَضَةِ وَالتَّصَوُّرِ بِأَنَّهَا أَبَدِيَّةٌ». (جَلْسَةُ حِوَارٍ مَعَ طُلَّابِ وَأَسَاتِذَةِ جَامِعَةِ أَمِيرْكَبِيرَ الصِّنَاعِيَّةِ، ١٣٧٩/١٢/٩ هـ.ش).

وَقَدْ أَكَّدَ سَلامَتُهُ –مَعَ تَشْدِيدِهِ عَلَى أَنَّ إِصْلَاحَ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ لَا يَجُوزُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى إِنْتَاجِ أَفْكَارٍ غَيْرِ مُضَبَّطَةٍ أَوْ خُرَافِيَّةٍ– عَلَى ضَرُورَةِ الاسْتِفَادَةِ مِنَ الرَّصِيدِ المَحَلِّيّ، وَفِي النَّفْسِ الوَقْتِ أَوْصَى بِالتَّفَاعُلِ العِلْمِيّ مَعَ الغَرَبِ فِي إِطَارٍ مِنَ الضَّوَابِطِ:

«وَلْيُتَنَبَّهْ؛ فَإِنِّي لَا أَحُثُّ عَلَى الفَوْضَى العِلْمِيَّةِ أَوِ الهُرَاءِ العِلْمِيّ. فَفِي أَيِّ مَجَالٍ، إِذَا أَرَادَ أَشْخَاصٌ لَا يَمْلِكُونَ المُؤَهِّلَ العِلْمِيَّ أَنْ يُبْدِعُوا حَسَبَ ظَنِّهِمْ، فَسَيَسْقُطُونَ فِي الهُرَاءِ. وَنَحْنُ نَرَى هذَا فِي بَعْضِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ وَالمَعَارِفِ الدِّينِيَّةِ. يَجِبُ التَّعَلُّمُ، لَكِنْ لَا

يَجُوزُ أَنْ نَكُونَ مُجَرَّدَ مُسْتَهْلِكِينَ لِمُنْتَجَاتِ الآخَرِينَ العِلْمِيَّةِ. يَجِبُ إِنْتَاجُ العِلْمِ بِالمَعْنَى الحَقِيقِيِّ للكَلِمَةِ. وَطَبْعًا لِهذَا العَمَلِ أُسْلُوبِيَّتُهُ وَضَوَابِطُهُ. الأَهَمُّ أَنْ تَحْيَا رُوحُ الإِبْدَاعِ العِلْمِيِّ فِي المُحِيطِ الجَامِعِيِّ وَتَسْتَمِرَّ. فَإِذَا اقْتَرَنَ العِلْمُ بِهِدَايَةِ الإِيمَانِ وَالعَوَاطِفِ الصَّحِيحَةِ وَالمَعْرِفَةِ الوَاعِيَةِ المُسْتَبْصِرَة، فَإِنَّهُ يَصْنَعُ مُعْجِزَاتٍ عَظِيمَةٍ، وَيُمْكِنُ لِبِلَادِنَا أَنْ تَتَوَقَّعَ هذِهِ المُعْجِزَاتِ». (نَفْسُ المَصْدَرِ).

### ٤– ٤. الأَدَبِيَّاتُ المُرْتَبِطَةُ بِإِصْلَاحِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ

لِتَنْفِيذِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّاتِ الكُلِّيَّةِ بِشَكْلٍ أَكْثَرَ دِقَّةً فِي مُعَالَجَةِ إِشْكَالِيَّةِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ، يَعْتَبِرُ الاِهْتِمَامُ بِالسَّابِقَاتِ وَمَا تَمَّ إِنْجَازُهُ حَتَّى الآنَ عُنْصُرًا مُهِمًّا. فَمِنْ خِلَالِ الاسْتِفَادَةِ مِنْ نَقَاطِ الضَّعْفِ وَالقُوَّةِ فِي الأَعْمَالِ المُنْجَزَة، يُمْكِنُ السَّيْرُ فِي الطَّرِيقِ المُقْبِلِ بِأَقَلِّ خَطَأً. وَنَظَرًا لِأَنَّ إِشْكَالِيَّةَ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ تُعَدُّ مِنْ تَبِعَاتِ الحَدَاثَةِ، يُمْكِنُ تَحْلِيلُ أَهَمِّ المحَاوَلَاتِ لِمُعَالَجَتِهَا فِي قُطْبَيْنِ: القُطْبُ الإِيرَانِيُّ الإِسْلَامِيُّ مِنْ جِهَةٍ، وَالعَالَمُ الغَرْبِيُّ الَّذِي يُمَثِّلُ مَهْدَ الحَدَاثَةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

### ١.٤. أَوَّلًا: السَّابِقَاتُ فِي إِيرَانَ وَالعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ

فِي دِرَاسَةِ سَابِقَاتِ الأَعْمَالِ الإِصْلَاحِيَّةِ فِي مَجَالِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، سَنُشِيرُ بِإِيجَازٍ إِلَى بَعْضِ أَهَمِّ الشَّخْصِيَّاتِ وَالتَّيَّاراتِ الفِكْرِيَّةِ المؤَثِّرَةِ، وَأَسْبَابِ صُعُودِهَا وَأُفُولِهَا، وَأُسُسِهَا وَغَايَاتِهَا. وَسَيُسَاعِدُنَا هَذَا عَلَى فَهْمٍ أَعْمَقَ لِلْوَضْعِ القَائِمِ وَتَخْطِيطٍ أَفْضَلَ لِمَسَارِ الخُرُوجِ مِنَ الأَزْمَةِ.

وَقَبْلَ الاِطِّلَاعِ عَلَى هَذِهِ السَّابِقَاتِ، مِنَ المفِيدِ التَّنْبِيهُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ المؤجَةَ تُمَثِّلُ الثَّانِيَةَ جِدِّيًا بَعْدَ الثَّوْرَةِ الإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تُوَاجِهُ إِصْلَاحَ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ. أَمَّا المؤجَةُ الأُولَى فَكَانَتْ مُرَافِقَةً لَانْتِصَارِ الثَّوْرَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَتَكْوِينِ لَجْنَةِ الثَّوْرَةِ الثَّقَافِيَّةِ، وَنَظَرًا لِتَنَوُّعِ المذَاهِبِ وَالآرَاءِ، لَمْ تُؤَدِّ فِي النِّهَايَةِ إِلَى النَّتِيجَةِ المطْلُوبَةِ. وَقَدْ تَضَارَبَتْ فِيهَا ثَلَاثُ نَظَرِيَّاتٍ: القَبُولُ المطْلَقُ، وَالرَّفْضُ المطْلَقُ، وَالقَبُولُ المرَافِقُ بِالنَّقْدِ. وَقَدْ قُدِّمَتْ هَذِهِ النَّظَرِيَّاتُ مِنْ قِبَلِ مُخَالِفِي المارْكِسِيِّينَ وَمُؤَيِّدِي التِّكْنُولُوجِيَا المنَاسِبَةِ وَالعُلَمَاءِ وَالمثَقَّفِينَ. وَفِي النِّهَايَةِ، فَازَتِ النَّظَرِيَّةُ الثَّالِثَةُ الَّتِي حَظِيَتْ بِدَعْمٍ خَاصٍ مِنْ قِبَلِ السِّيَاسِيِّينَ الحَوْزَوِيِّينَ وَالإِمَامِ الخُمَيْنِيِّ (قُدِّسَ سِرُّهُ).

وَاسْتَمَرَّتْ هَذِهِ المؤجَةُ الَّتِي بَدَأَتْ فِكْرَتُهَا مُنْذُ بَدَايَةِ الثَّوْرَةِ حَتَّى نِهَايَةِ العَقْدِ الثَّامِنِ وَمُنْتَصَفِ العَقْدِ التَّاسِعِ مِنَ القَرْنِ المَاضِي، وَقَدْ تَبَنَّاهَا كِبَارُ عُلَمَاءِ الحَوْزَةِ مِثْلَ آيَةِ اللهِ الجَوَادِيِّ وَآيَةِ اللهِ المِصْبَاحِ مِنْ جِهَةٍ، وَأَكَادِيمِيِّينَ مِثْلَ جَلَالِ الدِّينِ الفَارِسِيِّ وَعَبْدِ الكَرِيمِ سُرُوشِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. لكِنَّهَا لَمْ تُحَقِّقْ نَجَاحًا بَلْ أَدَّتْ إِلَى اطِّلَاعِ العُلَمَاءِ الحَوْزَوِيِّينَ عَلَى المعَارِفِ الإِنْسَانِيَّةِ الحَدِيثَةِ أَكْثَرَ مِنْ إِحْدَاثِهَا تَحَوُّلًا فِي العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ.

أَمَّا المؤجَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي بَرَزَتْ بَعْدَ الثَّوْرَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي إِيرَانَ، فَقَدْ ظَهَرَتْ بِشَكْلٍ جَدِّيٍّ بَعْدَ أَحْدَاثِ عَامِ ٢٠٠٩م، حَيْثُ عَزَا كَثِيرُونَ مُعْضِلَاتِ هَذِهِ الفِتْنَةِ إِلَى القَطِيعَةِ مَعَ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ الإِيرَانِيَّةِ. وَنَظَرًا لِضَرُورَةِ الاِخْتِصَارِ وَالعَرْضِ الانْتِقَائِيِّ، سَنُشِيرُ هُنَا إِلَى سَابِقَاتِ هَذَا المسَارِ التَّحَوُّلِيِّ مَعَ التَّرْكِيزِ عَلَى بَعْضِ الشَّخْصِيَّاتِ البَارِزَة:

السَّيِّد جَمَال الدِّين الأَسَدآبَادِي

رَأَى السَّيِّد جَمَال أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ مُعْضِلَاتِ المجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ الاِسْتِبْدَادَ الدَّاخِلِيَّ وَالاِسْتِعْمَارَ الخَارِجِيَّ، وَمِنْ مَظَاهِرِ هَذَا الاِسْتِعْمَارِ الخَارِجِيِّ –مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِهِ– التَّخَلُّفُ فِي العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ. وَقَدْ حَدَّدَ مَخْرَجَهُ مِنْ هَذِهِ الأَزْمَةِ فِي تَسْيِيسِ المسْلِمِينَ وَعَوْدَتِهِمْ إِلَى الرُّوحِ الأَصِيلَةِ لِتَعَالِيمِ الإِسْلَامِ الخَالِصَةِ.

كَانَ يُحَذِّرُ المسْلِمِينَ بِشِدَّةٍ مِنَ التَّغْرِيبِ المفْرِطِ، وَفِي نَفْسِ الوَقْتِ كَانَ يُشَجِّعُهُمْ عَلَى تَعَلُّمِ العُلُومِ الحَدِيثَةِ وَالتِّقْنِيَّةِ وَالصِّنَاعِيَّةِ. وَقَدْ آلَمَهُ تَخَلُّفُ المسْلِمِينَ التِّقْنِيُّ، فَحَثَّهُمْ عَلَى الاِهْتِمَامِ بِهَذِهِ العُلُومِ،

مُحَذِّرًا فِي نَفْسِ الوَقْتِ مِنَ الانْجِذَابِ نَحْوَ الرُّؤْيَةِ العَالَمِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ وَالانْضِمَامِ إِلَى مَذَاهِبِهَا. وَقَدْ نَاضَلَ السَّيِّد ضِدَّ الاسْتِعْمَارِ السِّيَاسِيِّ وَالثَّقَافِيِّ الغَرْبِيِّ مَعًا. وَكَابْنِ خَلْدُونَ، كَانَ يُثْنِي عَلَى الحَمِيَّةِ وَالعَصَبِيَّةِ دُونَ إِفْرَاطٍ، مُؤْمِنًا بِضَرُورَةِ التَّمَسُّكِ بِالعَصَبِيَّةِ الدِّينِيَّةِ. وَكَانَ هَدَفُهُ الأَسَاسِيُّ هُوَ بِنَاءُ مُجْتَمَعٍ إِسْلَامِيٍّ مُتَّحِدٍ بِدُونِ اخْتِلَافٍ يُطْغَى عَلَى الأُخُوَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

الشَّيْخ مُحَمَّد عَبْدُهُ

يَعْتَبِرُ عَبْدُهُ –أَحَدُ تَلَامِذَةِ السَّيِّد جَمَال– مِثْلَ أُسْتَاذِهِ أَنَّ أَكْبَرَ آلامِ المجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ نَتَجَتْ عَنِ اصْطِدَامِهِ بِالحَضَارَةِ الغَرْبِيَّةِ، فَسَعَى لِإِيجَادِ حَلٍّ لِإِشْكَالِيَّةِ «الإِسْلَامِ وَمُتَطَلَّبَاتِ العَصْرِ». وَفِي الحَقِيقَةِ، تُعَدُّ مُشْكِلَةُ عَبْدُهُ هَذِهِ قِرَاءَةً مُعَاصِرَةً لأَحَدِ أُسُسِ إِشْكَالِيَّةِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ.

سَعَى عَبْدُهُ –مِنْ خِلَالِ وَضْعِ قَوَاعِدَ وَكَلَاسِيكِيَّاتٍ جَدِيدَةٍ (كَالْفِقْهِ المقَارَنِ، وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ العِبَادَاتِ وَالمعَامَلَاتِ)– إِلَى تَحْدِيثِ الفِقْهِ وَالأَحْكَامِ الإِسْلَامِيَّةِ لِدَفْعِ الفَرَاغِ الفِكْرِيِّ وَالثَّقَافِيِّ عَنِ المسْلِمِينَ المغَرَّبِينَ.

وَكَانَ الفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّيِّدِ أَنَّ السَّيِّدَ كَانَ ثَوْرِيًّا يُقَدِّمُ الحَرَكَةَ السِّيَاسِيَّةَ عَلَى التَّرْبَوِيَّةِ، فَإِنَّ عَبْدَهُ كَانَ يُؤْمِنُ بِالإِصْلَاحِ التَّدْرِيجِيِّ وَيُرَجِّحُ التَّرْبِيَةَ الدِّينِيَّةَ لِلْمُجْتَمَعِ عَلَى التَّوْجِيهِ السِّيَاسِيِّ. وَإِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ تَأْثِيرَ حَرَكَةِ السَّيِّدِ كَانَ عَالَمِيًّا، بَيْنَمَا ظَلَّتْ أَفْكَارُ عَبْدُهُ فِي مُعْظَمِهَا مُرْتَبِطَةً بِمِصْرَ.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الكَوَاكِبِي

هُوَ تِلْمِيذُ عَبْدُهُ، وَقَدِ انْفَصَلَ عَنْهُ بِاتِّخَاذِهِ الحُرِّيَّةَ وَمُحَارَبَةَ الاسْتِبْدَادِ شِعَارًا لَهُ، فَاقْتَرَبَ مِنَ السَّيِّدِ جَمَالٍ. وَرَأَى أَنَّ سَبَبَ تَخَلُّفِ المسْلِمِينَ هُوَ إِهْمَالُهُمُ للعُلُومِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي تُوقِظُ الإِنْسَانَ وَتُحَرِّرُهُ مِنَ الاسْتِبْدَادِ وَالكَتَمِ العِلْمِيِّ وَالدِّينِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ.

مُحَمَّد إِقْبَال اللَّاهُورِي

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ الجَيِّدَةِ بِالغَرَبِ وَدَعْوَتِهِ النَّاسَ لِتَعَلُّمِ عُلُومِهِ وَفُنُونِهِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُحَذِّرُهُمْ مِنَ التَّغْرِيبِ وَالانْجِذَابِ نَحْوَ المذَاهِبِ الغَرْبِيَّةِ. وَسَعَى –كَعَبْدُهُ– لِإِيجَادِ طَرِيقٍ لِلْحِفَاظِ عَلَى أُصُولِ الإِسْلَامِ وَحَلِّ مُشْكِلَاتِ المسْلِمِينَ السِّيَاسِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ. وَكَانَ حَلُّهُ الأَوَّلُ لِهَذِهِ الإِشْكَالِيَّةِ هُوَ الاجْتِهَادُ، وَرَآهُ ضَرُورِيًّا لِإِعَادَةِ قِرَاءَةِ الإِسْلَامِ. وَكَانَ يُؤْمِنُ بِضَرُورَةِ العَوْدَةِ إِلَى الذَّاتِ المضِيئَةِ وَالهَوِيَّةِ المنْسِيَّةِ لِلْعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ وَنَفْخِ الرُّوحِ الإِسْلَامِيَّةِ فِيهَا. وَمِنْ هُنَا أَسَّسَ «فَلْسَفَةَ الذَّاتِ» لِإِعَادَةِ الهَوِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ إِلَى المجْتَمَعِ. وَإِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، كَانَ مُتَأَثِّرًا بِجَلَال الدِّين الرُّومِيِّ وَمَائِلًا إِلَى التَّصَوُّفِ، وَكَانَ ضَعْفُهُ الرَّئِيسِيُّ فِي عَدَمِ وُجُودِ مَعْرِفَةٍ كَافِيَةٍ لَدَيْهِ عَنِ الإِسْلَامِ.

الشَّهِيد مُطَهَّرِي

اِسْمُ الشَّهِيد مُطَهَّرِي وَمُعْتَقَدَاتُهُ مَعْرُوفَةٌ لِلكَثِيرِينَ. فَقَدْ كَانَ عَارِفًا فَيْلَسُوفًا وَمُفَسِّرًا لِلإِسْلَامِ، وَبِسَبَبِ تَوْضِيحِهِ الصَّحِيحِ وَالحَدِيثِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُسَاهِمَ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ فِي تَقَدُّمِ الأَفْكَارِ الإِسْلَامِيَّةِ. وَمَا يَهُمُّنَا هُنَا مِنْ أَفْكَارِهِ هُوَ تَحْلِيلُهُ لِإِشْكَالِيَّةِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ الحَدِيثَةِ وَالمجْتَمَعِ الإِيرَانِيِّ الحَالِيِّ.

مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِ مُطَهَّرِي، فَإِنَّ خَطَأَ المثَقَّفِينَ الكَبِيرَ هُوَ اعْتِقَادُهُمْ أَنَّ مُجْتَمَعَنَا الحَالِيَّ هُوَ نَفْسُ مُجْتَمَعِ الغَرَبِ الحَالِيِّ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ يُرِيدُونَ تَطْبِيقَ نَفْسِ الحُلُولِ الغَرْبِيَّةِ عَلَى إِيرَانَ. فِي حِينِ أَنَّهُمْ يَتَجَاهَلُونَ فَرْقَيْنِ رَئِيسِيَّيْنِ: أَحَدُهُمَا الاخْتِلَافُ بَيْنَ الإِسْلَامِ

وَالمسِيحِيَّةِ، وَالثَّانِي الاِخْتِلَافُ فِي المرَاحِلِ التَّارِيخِيَّةِ بَيْنَ إِيرَانَ وَالغَرَبِ.

سَيِّد فَرِيد وَ نَقِيب العَطَّاس (كُوَالَالَامْبُور)

فَرِيد والعَطَّاسِ يَعْتَقِدان أَنَّ العَالَمَ يَمُرُّ بِفَتْرَةِ الإِمْبِرِيَالِيَّةِ الأَكَادِيمِيَّةِ، وَهَذِهِ النَّظْرَةُ مَوْجُودَةٌ فِي جَمِيعِ مَجَالَاتِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ. وَمِنْ وِجْهَةِ نَظَرِه، فَإِنَّ اسْتِبْدَالَ بَعْضِ النَّظَرَاتِ الأُخْرَى بِشَكْلٍ فُجَائِيٍّ وَبِلَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ غَيْرُ مُمْكِنٍ. وَمِنْ وِجْهَةِ نَظَرِ هَذَيْنِ المفَكِّرَيْنِ، فَقَدْ ظَهَرَتْ بَعْضُ النَّظَرَاتِ البَدِيلَةِ، وَلكِنَّهَا تَظَلُّ أَحْيَانًا فِي إِطَارِ النَّمَطِ القَدِيمِ، وَأَحْيَانًا تُسْمَعُ أَصْوَاتٌ قَلِيلَةٌ لِمِنْهَجِيَّاتٍ بَدِيلَةٍ.

آيَةُ اللهِ المِصْبَاحِ

كَانَ مِنْ بَيْنِ مُعَارِضِي فِكْرِيةِ تَعَارُضِ العِلْمِ وَالدِّينِ، وَكَانَ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ فِي حَالَةِ وُجُودِ تَعَارُضٍ، يَجِبُ الشَّكُّ فِي نِسْبَةِ الأَمْرِ إِلَى الدِّينِ أَوْ فِي عِلْمِيَّةِ المشْكِلَةِ. وَحَلُّهُ لِهَذِهِ التَّعَارُضَاتِ الظَّاهِرِيَّةِ بَيْنَ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ وَالدِّينِ هُوَ ضَرُورَةُ طَرْحِ الأَفْكَارِ المخَالِفَةِ لِلْفِكْرِ الإِسْلَامِيِّ فِي المجْتَمَعَاتِ العِلْمِيَّةِ، وَذَلِكَ بِشَرْطَيْنِ: أَنْ تُدَرَّسَ الأَفْكَارُ الإِسْلَامِيَّةُ إِلَى جَانِبِ الأَفْكَارِ غَيْرِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي الجَامِعَاتِ، وَأَنْ تُنَقَّدَ الأَفْكَارُ غَيْرِ الإِسْلَامِيَّةِ بِدِقَّةٍ.

سَيِّد جَوَاد الطَّبَاطَبَائِي

يَنْقُدُ سَيِّد جَوَاد الطَّبَاطَبَائِي إِصْلَاحَ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ مِنْ نَاحِيَتَيْنِ: الأُولَى أَنَّهُ يَرَى أَنَّ مَهْدَهَا هُوَ الغَرْبُ وَأَنَّ تَغْيِيرَ جَوْهَرِهَا غَيْرُ صَحِيحٍ، وَالثَّانِيَةُ أَنَّهُ يَرَى أَنَّ العُلُومَ الإِنْسَانِيَّةَ قَدْ وَقَعَتْ فِي أَسْرِ الأَيْدْيُولُوجِيَا. فَمِنْ وِجْهَةِ نَظَرِه، فَإِنَّ العُلُومَ الإِنْسَانِيَّةَ – وَسِيَّمَا العُلُومَ السِّيَاسِيَّةَ– قَدْ وَقَعَتْ لِعُقُودٍ تَحْتَ ظِلِّ الأَيْدْيُولُوجِيَا وَالسِّيَاسَةِ، وَفَقَدَتْ قُدْرَتَهَا عَلَى الإِبْدَاعِ.

مُصْطَفَى الملِكِيَان

بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ مُعْتَقَدَاتِهِ فِي إِمْكَانِيةِ الإِصْلَاحِ أَوْ عَدَمِهَا، يَرَى الملِكِيَانُ أَنَّ وُجُودَ بَعْضِ المقَدِّمَاتِ ضَرُورِيٌّ لِهَذَا الإِصْلَاحِ، وَمِنْ أَهَمِّهَا: مَعْرِفَةُ الإِسْلَامِ بِالمعْنَى الحَقِيقِيِّ للكَلِمَةِ، وَمَعْرِفَةُ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ وَنَقْصِهَا، وَتَوْضِيحُ العَلَاقَةِ بَيْنَ الدِّينِ وَالمعْرِفَةِ، وَإِيجَادُ طَرِيقٍ لِإِقْنَاعِ الآخَرِينَ. وَهُوَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ إِصْلَاحَ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ وَأَسْلَمَتَهَا مُمْكِنٌ فَقَطْ إِذَا وُجِدَتْ هَذِهِ المقَدِّمَاتُ الخَمْسُ.

وَفِي كَلَامِهِ، أَشَارَ إِلَى عَشَرَةِ عَوَامِلَ أَسَاسِيَّةٍ مُتَرَابِطَةٍ فِي ضَعْفِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ فِي إِيرَانَ: ضَعْفُ حَصِيلَةِ الذَّكَاءِ بَيْنَ خِرِّيجِي العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ، وَقِلَّةُ دَخْلِهَا، وَعَدَمُ تَجَسُّدِهَا وَتَعَيُّنِهَا –الأَمْرُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الدَّعَاوِي الزَّائِفَةِ فِي التَّقْيِيمِ–، وَدُخُولُ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ إِلَى إِيرَانَ بِشَكْلٍ غَيْرِ مُنْتَظِمٍ، وَالاِهْتِمَامُ الفَوْرِيُّ بِالعُلُومِ التِّقْنِيَّةِ، وَعَدَمُ حَلِّ مُشْكِلَاتِ المعْرِفَةِ وَمَنْهَجِيَّاتِهَا، وَعَدَمُ تَطْبِيقِ الأَبْحَاثِ، وَشُعُورُ الاِسْتِغْنَاءِ بِسَبَبِ وُجُودِ حُكُومَةٍ دِينِيَّةٍ، وَتَحْدِيدُ نَتِيجَةِ الأَبْحَاثِ سَلَفًا.

عَبْدُ الكَرِيمِ سُرُوش

مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِ الدُّكْتُورِ سُرُوش، لَا يُوجَدُ فَرْقٌ بَيْنَ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ وَالعُلُومِ التَّجْرِيبِيَّةِ فِي مَوْضُوعِ الإِصْلَاحِ، وَالتَّحَدِّي الَّذِي يُوجَدُ فِي أَسْلَمَةِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ هُوَ نَفْسُ التَّحَدِّي فِي أَسْلَمَةِ العُلُومِ التَّجْرِيبِيَّةِ. وَحَلُّهُ لِهَذِهِ العَقْمِ هُوَ التَّدْرِيسُ الحُرُّ لِلأَسَاتِذَةِ وَالنَّقْدُ الحُرُّ لِفَلَاسِفَةِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ. وَفِي هَذَا النَّقْدِ الفَلْسَفِيِّ، يُمْكِنُ الاِسْتِعَانَةُ بِالدِّينِ وَغَيْرِهِ.

الحَجَّارِيَان

يَرَى أَنَّ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ الضَّعْفِ هُوَ دُخُولُ النَّظَرِيَّاتِ الغَرْبِيَّةِ بِشَكْلٍ غَيْرِ مُنَظَّمٍ –وَهِيَ فِي الأَغْلَبِ مَقْرُونَةٌ بِالأَيْدْيُولُوجِيَا–، وَمَعَ دُخُولِ الأَسَاتِذَةِ حَامِلِي هَذِهِ النَّظَرِيَّاتِ بِدُونِ تَفْكِيرٍ نَاقِدٍ، أَدَّى ذَلِكَ إِلَى اِنْتِشَارِ هَذِهِ الأَفْكَارِ وَشُيُوعِهَا أَكْثَرَ.

زِيْبَاكَلَام

مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِهِ، فَإِنَّ أَصْلَ هَمِّ هَذِهِ التَّحَوُّلَاتِ فِي العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ هُوَ دَافِعُ تَرْبِيَةِ طَالِبٍ مُوَافِقٍ لِلثَّوْرَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَهُوَ –فِي نَظَرِهِ– هَمٌّ غَيْرُ مُنَاسِبٍ، وَيَرَى السَّبَبَ فِي النِّظَامِ الثَّقَافِيِّ وَالتَّعْلِيمِيِّ وَأَدَاءِ الحُكُومَةِ. فَمِنْ وِجْهَةِ نَظَرِهِ، لَيْسَ المحْتَوَى التَّعْلِيمِيُّ هُوَ المشْكِلَةُ، وَإِنَّمَا يَجِبُ حَلُّ المشْكِلَةِ خَارِجَ الجَامِعَاتِ. وَكَمَا قَالَ مُؤَيِّدًا رَأْيَهُ: إِنَّ جَمِيعَ قَادَةِ وَشُهَدَاءِ الثَّوْرَةِ الإِسْلَامِيَّةِ كَانُوا مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ مِنْ طُلَّابِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ وَالتَّجْرِيبِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ فِي زَمَنِ الطَّاغُوتِ.

### ٢.٤. ثَانِيًا: السَّابِقَاتُ فِي الخَارِجِ مِنَ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ

إِذَا أَخَذْنَا مَفْهُومَ إِصْلَاحِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ بِمَعْنًى أَوْسَعَ قَلِيلًا، وَخَرَجْنَا بِهِ مِنَ حَدِّ "الإِسْلَامِيَّةِ" المحْضَةِ، أَصْبَحَ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَأْخُذَ بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ التَّحَوُّلَاتِ الَّتِي حَدَثَتْ خَارِجَ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ أَيْضًا، وَأَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ جَوَانِبِهَا الإِيجَابِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِنَا المحَلِّيَّةِ.

وَقَبْلَ الاِشْتِغَالِ بِاخْتِصَارٍ عَلَى تَحَوُّلَاتِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ خَارِجَ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ، وَغَالِبًا فِي الغَرْبِ، يَجِبُ أَنْ نُلَاحِظَ أَنَّهُ، وَنَظَرًا لِأَنَّ العُلُومَ الإِنْسَانِيَّةَ الغَرْبِيَّةَ وَالدِّعَايَةَ لِلتَّرْجَمَاتِ الغَرْبِيَّةِ لَهَا تَقَعُ فِي صُمِيمِ التَّحَدِّي بَيْنَ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ الحَدِيثَةِ وَالثَّقَافَةِ الإِيرَانِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، فَإِنَّ الاِهْتِمَامَ بِالحُلُولِ الَّتِي قَدَّمَهَا مُصْلِحُونَ غَرْبِيُّونَ قَدْ يَكُونُ مُنَاسِبًا وَمُلَائِمًا لِلظُّرُوفِ المحَلِّيَّةِ الإِيرَانِيَّةِ فِي بَعْضِ الحَالَاتِ.

لِذَلِكَ، سَنُشِيرُ إِلَى بَعْضِ أَهَمِّ الرُّدُودِ الَّتِي طُرِحَتْ إِزَاءَ إِصْلَاحِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ. وَيُمْكِنُ اعْتِبَارُ أَهَمِّ التَّحَدِّيَاتِ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى تَحَوُّلٍ فِي الفِكْرِ الغَرْبِيِّ نَتِيجَةً لِحَرَكَةِ الإِصْلَاحِ الدِّينِيِّ، وَمَا تَبِعَهَا مِنْ عَصْرِ التَّنْوِيرِ وَتَعْظِيمِ العَقْلِ وَالاِعْتِمَادِ عَلَى العِلْمِ فِي مُوَاجَهَةِ الدِّينِ.

هَذَا التَّصَادُمُ بَيْنَ العِلْمِ وَالدِّينِ، الَّذِي كَانَ فِي بَدَايَتِهِ مُجَرَّدَ مُخَالَفَةِ القَوَاعِدِ الدِّينِيَّةِ بِالقَوَانِينِ العِلْمِيَّةِ المسَلَّمِ بِهَا، أَخَذَ شَكْلًا مُنْظَّمًا تَدْرِيجِيًّا، وَأَدَّى إِلَى تَحَوُّلٍ وَتَغَيُّرٍ فِي العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ.

فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ، سَعَى العُلَمَاءُ إِلَى حَرْقِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ وَاللَّاهُوتِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى مِنْ بَرَاثِنِ الوَضْعِيَّةِ (البُوزِيتِيفِيَّةِ) وَالتَّجْرِبِيَّةِ المحْضَةِ، وَقَدْ بَذَلُوا فِي ذَلِكَ مُحَاوَلَاتٍ سَنَسْتَعْرِضُهَا بِاخْتِصَارٍ فِي مَا يَلِي.

وَيَجِبُ التَّنْبُّهُ فِي هَذِهِ الإِشَارَاتِ إِلَى أَنَّ الاهْتِمَامَ مُنْصَبٌّ فِي المقَامِ الأَوَّلِ عَلَى الاتِّجَاهَاتِ وَالحُلُولِ المقْتَرَحَةِ، وَلَيْسَ ضَرُورِيًّا عَلَى المذَاهِبِ وَالأَشْخَاصِ، فَهَذِهِ أَوْلَوِيَّتُهَا ثَانَوِيَّةٌ.

الرُّومَانْتِيكِيَّةُ

مِنْ أَوَائِلِ المحَاوَلَاتِ الجَادَّةِ فِي التَّارِيخِ الفِكْرِيِّ لِلْغَرَبِ لِحِفْظِ حُرْمَةِ الدِّينِ مِنْ تَعَدِّيَاتِ العُلُومِ الأُخْرَى (سَوَاءٌ الإِنْسَانِيَّةُ أَمِ التَّجْرِيبِيَّةُ) كَانَتِ العَوْدَةَ الجَدِّيَّةَ إِلَى المجَالَاتِ الخَاصَّةِ بِالإِنْسَانِ، مِثْلَ الرُّوحِ وَالعَوَاطِفِ، مُقَابِلَ الاهْتِمَامِ الَّذِي أَبْرَزَهُ عَصْرُ التَّنْوِيرِ وَالعَقْلَانِيَّةِ بِالجَانِبِ الفِكْرِيِّ وَالعَقْلِ المجَرَّدِ. هَذِهِ الطَّرِيقَةُ، الَّتِي تَحَوَّلَتْ تَدْرِيجِيًّا إِلَى مَدْرَسَةٍ فِكْرِيَّةٍ وَكَسَبَتْ أَعْدَادًا كَبِيرَةً مِنَ المؤَيِّدِينَ، وَاجَهَتْ ضَعْفًا جَسِيمًا، وَهُوَ أَنَّهَا سَلَبَتِ الدِّينَ مَسْأَلَةَ المعْرِفَةِ وَالإِدْرَاكِ، وَأَسْنَدَتْهَا إِلَى الإِنْسَانِ. وَقَدْ أَدَّى هَذَا التَّمَايُزُ فِي الفَهْمِ وَالاِخْتِلَافُ فِي المعَارِفِ إِلَى تَحْوِيلَاتٍ جَوْهَرِيَّةٍ فِي الأُسُسِ الدِّينِيَّةِ، وَمَا يَزَالُ أَثَرُهَا المِلَاحَظُ فِي الكَلَامِ الحَدِيثِ فِي الغَرْبِ.

الإِصْلَاحَاتُ الدَّاخِلِيَّةُ

عِنْدَمَا أَحسَّ النِّظَامُ المهَيْمِنُ عَلَى المجْتَمَعِ الغَرَبِيّ –وَالَّذِي كَانَ فِي مُعْظَمِ الحَالَاتِ، حَسَبَ الرِّوَايَةِ التَّارِيخِيَّةِ، هُوَ الكَنِيسَةُ الكَاثُولِيكِيَّةُ– بِعَجْزِهِ أَمَامَ هَذِهِ المؤجَةِ، بَدَأَ، إِضَافَةً إِلَى المقَاوَمَةِ الخَارِجِيَّةِ لِلْغَزْوِ الثَّقَافِيّ وَالسِّيَاسِيّ، بِاتِّخَاذِ إِجْرَاءَاتٍ إِصْلَاحِيَّةٍ فِي جَسَدِهِ. وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الإِجْرَاءَاتِ الَّتِي قَامَتْ بِهَا الكَنِيسَةُ الكَاثُولِيكِيَّةُ: إِنْشَاءُ نِظَامٍ تَعْلِيمِيّ مِنْ جِهَةٍ، وَإِحْدَاثُ تَحَوُّلٍ فِي النَّشَاطَاتِ الثَّقَافِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. وَمِنْ أَمْثِلَةِ هَذِهِ الإِجْرَاءَاتِ: تَأْسِيسُ جَمَاعَةِ فُرْسَانِ مَالْطَا.

**٥– ٥. الحلول والآليات المُقْتَرَحَة**

بَعْدَ الاسْتِعْرَاضِ المخْتَصَرِ لإِشْكَالِيَّةِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ وَسَابِقَاتِهَا، نَسْعَى فِي هَذَا الجُزْءِ إِلَى تَحْدِيدِ اسْتِرَاتِيجِيَّتِنَا فِي هَذَا المجَالِ. وَلِهَذَا، وَبِالاِعْتِمَادِ عَلَى خِبْرَاتِ عُظَمَاءِ الفِكْرِ فِي الإِسْلَامِ وَالغَرَبِ، مَعَ الاِهْتِمَامِ المحْوَرِيّ بِأَفْكَارِ وَاسْتِرَاتِيجِيَّاتِ مَقَامِ القِيَادَةِ الرَّفِيعِ (حَفِظَهُ اللَّهُ)، نَصِلُ إِلَى الحُلُولِ التَّالِيَةِ –وَتَرْتِيبُ الذِّكْرِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَوْلَوِيَّةٍ–:

١. الاِسْتِفَادَةُ مِنْ مَبَادِئَ مَا بَعْدَ الوَضْعِيَّةِ (البُوزِيتِيفِيَّة) فِي الغَرَبِ وَالنَّظْرَةِ المعْرِفِيَّةِ الجَدِيدَةِ:

كَمَا طَرَحَهَا كُوهَن وَبُوبَر، حَيْثُ أُكِّدَ أَنَّ العُلُومَ المخْتَلِفَةَ قَدْ أَقَرَّتْ تَدْرِيجِيًّا بِعَجْزِهَا عَنْ التَّنَبُّؤِ (Prognosis) بِالحَوَادِثِ، لِأَنَّ وُجُودَ الإِنْسَانِ وَالعَالَمَ لَيْسَ أُحَادِيَّ السَّاحَةِ، بَلْ مُعَقَّدٌ جِدًّا. هُنَا، يُنَاقَشُ تَعَدُّدُ أَنْوَاعِ المعْرِفَةِ وَعَدَمِ اِحْتِصَارِهَا بِالمعْرِفَةِ العِلْمِيَّةِ وَالتَّجْرِيبِيَّةِ أَوِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَقَدْ طَرَحَ أَشْخَاصٌ مِثْلَ فَايَرَابِنْد نَقْدَاتٍ وَضَعْفًا فِي مَنَاهِجِ هَذِهِ العُلُومِ.

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ، تُؤَكِّدُ الوَثَائِقُ العُلْيَا وَالمسْؤُولُونَ فِي النِّظَامِ –بِمَا فِيهِمْ مَقَامُ القِيَادَةِ الرَّفِيعِ (حَفِظَهُ اللَّهُ)– عَلَى التَّفَاعُلِ البَنَّاءِ مَعَ الغَرَبِ. لِذَلِكَ، فِي خِضَمِّ هَذَا الخَلِيطِ المتَنَوِّعِ الدَّاخِلِ إِلَى ثَقَافَتِنَا المحَلِّيَّةِ مِنْ بُرْجِ بَابِلَ الفِكْرِ الغَرَبِيّ، يُمْكِنُ فِي سِيَاقٍ شَامِلٍ وَدَقِيقٍ انتِقَاءُ مَا يَصْلُحُ لِبِنَاءِ فِكْرٍ مُنَاسِبٍ لِلثَّقَافَةِ الإِيرَانِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالاِخْتِصَاصُ بِهِ تَمَامًا.

وَفِي هَذَا الصَّدَدِ، صَرَّحَ مَقَامُ القِيَادَةِ الرَّفِيعِ فِي سِيَاقِ التَّعَامُلِ الفِكْرِيّ وَالعِلْمِيّ مَعَ مُفَكِّرِي الغَرَبِ وَالاِسْتِفَادَةِ مِنْ أَفْكَارِهِمْ بِمَا نَصُّهُ:

«يَجِبُ أَنْ تَكُونَ العَلَاقَةُ بَيْنَ الدُّوَلِ فِي مَجَالِ العِلْمِ عَلَى غِرَارِ العَلَاقَةِ فِي التِّجَارَةِ: تَصْدِيرًا وَاسْتِيرَادًا؛ أَيْ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ تَعَادُلٌ وَتَوَازُنٌ. فَكَمَا هُوَ الحَالُ فِي الشَّئُونِ الاقْتِصَادِيَّةِ وَالتِّجَارِيَّةِ، إِذَا زَادَ الاسْتِيرَادُ عَلَى التَّصْدِيرِ فَإِنَّ المِيزَانَ يَصْبِحُ سَالِبًا وَيَشْعُرُ البَلَدُ بِالغَبْنِ، كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الأَمْرُ فِي مَجَالِ العِلْمِ. لَا بَأْسَ بِاسْتِيرَادِ العِلْمِ، وَلَكِنْ عَلَى الأَقَلِّ بِقَدْرِ مَا تُصَدِّرُ – أَوْ أَكْثَرَ. يَجِبُ أَنْ يَكُونَ التَّدَافُعُ فِي الاِتِّجَاهَيْنِ. وَإِلَّا، فَإِنَّكُمْ إِذَا ظَلَلْتُمْ تَتَغَذَّوْنَ بِفُضَلَاتِ مَوَائِدِ عُلُومِ الآخَرِينَ، فَهذَا لَيْسَ بِتَقَدُّمٍ».(فِي لِقَاءٍ مَعَ طُلَّابِ وَأَسَاتِذَةِ جَامِعَةِ أَمِيرْكَبِيرَ الصِّنَاعِيَّةِ، ١٣٧٩/١٢/٩ هـ.ش).

وَأَضَافَ (حَفِظَهُ اللَّهُ):

«اِجْلِسُوا وَفَكِّرُوا؛ وَاضَعُوا نَظَرِيَّاتٍ؛ لِنَسْتَفِيدَ مِنْ رَصِيدِ هذِهِ المعَارِفِ فِي العَالَمِ؛ وَنَزِيدَ عَلَيْهَا؛ وَنَكْشِفَ خَطَأَهَا. وَهذَا مِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي تُعَدُّ مِنْ مُلْزِمَاتِ التَّقَدُّمِ الحَتْمِيَّةِ».(فِي لِقَاءٍ مَعَ أَسَاتِذَةِ وَطُلَّابِ جَامِعَاتِ كُرْدِسْتَانَ، ١٣٨٨/٢/٢٧ هـ.ش).

٢. غِيَابُ مَنَصَّاتِ الحِوَارِ الفِكْرِيّ الحُرّ الحَقِيقِيّ:

يُمْكِنُ الإِشَارَةُ إِلَى غِيَابِ مَنَصَّاتِ الحِوَارِ الفِكْرِيّ الحُرّ الحَقِيقِيّ كَوَاحِدَةٍ مِنَ الأَسْبَابِ الأُخْرَى لِتَرَاجُعِ المعْرِفَةِ البَشَرِيَّةِ المتَجَانِسَةِ مَعَ رُوحِ الإِسْلَامِ. فَعِنْدَمَا تُفْرَضُ قُيُودٌ عَلَى الفِكْرِ وَأَصْحَابِهِ فِي سِيَاقٍ عِلْمِيّ وَثَقَافِيّ، يَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ هُرُوبُ أُولِي الأَفْكَارِ إِلَى فَضَاءٍ آخَرَ، وَبِالتَّالِي يَصْبِحُ مَوْقِفُهُمُ الأَوَّلُ، مُسَلَّحِينَ بِالأَدَوَاتِ العِلْمِيَّةِ، هُوَ نَقْدُ السِّيَاقِ السَّابِقِ – نَفْسِهِ الَّذِي قَيَّدَ الحُرِّيَّةَ الفِكْرِيَّةَ.

وَتَصْبِحُ هَذِهِ القَضِيَّةُ أَوْضَحَ عِنْدَمَا نُضِيفُ إِلَيْهَا تَوْجِيهَ الإِمَامِ الخُمَيْنِيِّ (قُدِّسَ سِرُّهُ) بِضَرُورَةِ إِحْضَارِ مُنَظِّرِي الشُّيُوعِيَّةِ إِلَى إِيرَانَ لِنَتَعَلَّمَ مِنْهُمْ نَظَرِيَّاتِهِمْ مَعَ مَزَايَاهَا وَعُيُوبِهَا، أَوْ الحَدِيثَ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفِ: «أُطْلُبُوا العِلْمَ وَلَوْ بِي الصِّينِ»، أَوْ قَوْلِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «أُطْلُبُوا العِلْمَ مِنَ المَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ»، أَوْ حَدِيثِهِ الآخَرِ: «لَوْ كَانَ العِلْمُ فِي الثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسَ»، وَغَيْرِهَا مِنَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي تُؤَكِّدُ هَذَا المَفْهُومَ.

وَفِي هَذَا الإِطَارِ، وَبِالإِشَارَةِ إِلَى نَهْجَيْنِ شَائِعَيْنِ (الاِسْتِسْلَامِ وَالتَّقْلِيدِ الأَعْمَى مِنْ جِهَةٍ، وَالمواجهَةِ الصَّلبةِ لِلْفِكْرِ الجَدِيدِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى) وَاللَّذَيْنِ يَعُوقَانِ تَحْقِيقَ هَذَا الأَمْرِ، قَدَّمَ مَقَامُ القِيَادَةِ الرَّفِيعِ (حَفِظَهُ اللَّهُ) تَوْجِيهَهُ بِمَا نَصُّهُ:

«أَبْوَابٌ كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ العُلُومِ مُغْلَقَةٌ أَمَامَ بُلْدَانٍ مِثْلِ بَلَدِنَا وَغَيْرِ الحَاصِلِينَ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا يُسْمَحُونَ بِنَقْلِ العِلْمِ عِنْدَمَا يَكُونُ قَدْ بَلِيَ وَتَلَاعَبَتْ بِهِ الأَيْدِي وَفَقَدَ جِدَّتَهُ وَنَضَارَتَهُ. وَطَبْعًا الأَمْرُ سِيَّانُ فِي جَمِيعِ المجَالَاتِ؛ وَفِي مَجَالِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ أَيْضًا. قُلْتُ ذَلِكَ اليَوْمَ لِلأَصْدِقَاءِ العَامِلِينَ فِي مَجَالِ الاقْتِصَادِ وَالإِدَارَاتِ المخْتَلِفَةِ لِلْبِلَادِ وَالحَاضِرِينَ هُنَاكَ: إِنَّ بَعْضَ مَا يَتْبَعُهُ البَعْضُ هُنَا اليَوْمَ قَدْ أُلْغِيَ. فَنَظَرِيَّاتُهُمُ الأَفْضَلُ قَدْ خَرَجَتْ إِلَى السُّوقِ وَطُبِّقَتْ، وَهُمْ مُنْشَغِلُونَ بِالعَمَلِ، فَإِذَا بِفِئَةٍ هُنَا – مُعْجَبِينَ بِكَلَامِهِمْ – لَا يَزَالُونَ يُثِيرُونَ تِلْكَ البَقَايَا».(لِقَاءُ أَعْضَاءِ الهَيْئَةِ التَّدْرِيسِيَّةِ وَخُبَرَاءِ جِهَادِ الجَامِعِيِّ، ١٣٨٣/٤/١ هـ.ش).

وَأَضَافَ (حَفِظَهُ اللَّهُ):

«بِقَدْرِ مَا يُؤْمِنُ المؤْمِنُونَ بِالقُرْآنِ وَكَلَامِ اللَّهِ وَالوَحْيِ الإِلَاهِيِّ، يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ بِآرَاءِ فُلَانٍ مِنْ عُلَمَاءِ أُورُوبَّا! وَالمدْهِشُ أَنَّ تِلْكَ الآرَاءَ تَتَقَادَمُ وَتُلغَى وَيَحُلُّ مَحَلَّهَا آرَاءٌ جَدِيدَةٌ؛ وَلكِنْ هَؤُلَاءِ يَتَمَسَّكُونَ بِنَفْسِ الآرَاءِ القَدِيمَةِ الَّتِي تَعُودُ إِلَى خَمْسِينَ عَامًا كَأَنَّهَا نَصٌّ مُقَدَّسٌ أَوْ دِينٌ! لَهُمْ عَيْبَانِ: الأَوَّلُ: أَنَّهُم مُقَلِّدُونَ. الثَّانِي: أَنَّهُمْ غَيْرُ مُطَّلِعِينَ عَلَى التَّطَوُّرَاتِ الحَدِيثَةِ؛ فَهُمْ يُحَافِظُونَ عَلَى نَفْسِ النَّصِّ الأَجْنَبِيِّ الَّذِي دُرِّسَ لَهُمْ كَكِتَابٍ مُقَدَّسٍ فِي صُدُورِهِمْ، وَاليَوْمَ يُعْطُونَهُ لِشَبَابِنَا. بَلَدُنَا مَهْدُ الفَلْسَفَةِ، وَلكِنَّهُمْ لِفَهْمِ الفَلْسَفَةِ يَرْجِعُونَ إِلَى الآخَرِينَ!».(لِقَاءُ أَسَاتِذَةِ وَطُلَّابِ جَامِعَاتِ مُحَافَظَةِ هَمَذَانَ، ١٣٨٨/٤/١٧ هـ.ش).

وَخَلَصَ (حَفِظَهُ اللَّهُ) إِلَى:

«طَبْعًا لِلْإِبْدَاعِ العِلْمِيِّ – وَالَّذِي يُعَبَّرُ عَنْهُ فِي ثَقَافَةِ المعَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ بِالاِجْتِهَادِ – أَمْرَانِ لاَ بُدَّ مِنْهُمَا: أَحَدُهُمَا القُدْرَةُ العِلْمِيَّةُ، وَالثَّانِي الجُرْأَةُ العِلْمِيَّةُ. وَبِلاَ شَكٍّ فَالقُدْرَةُ العِلْمِيَّةُ أَمْرٌ مُهِمٌّ. فَالذَّكَاءُ الوَافِرُ، وَالمخْزُونُ العِلْمِيُّ اللَّازِمُ، وَالجِهَادُ الكَبِيرُ فِي التَّعَلُّمِ، مِنَ العَوَامِلِ الضَّرُورِيَّةِ لِكَسْبِ القُدْرَةِ العِلْمِيَّةِ؛ وَلكِنَّ هَذَا لَا يَكْفِي. فَقَدْ يَكُونُ بَعْضُ النَّاسِ مُتَمَتِّعِينَ بِالقُدْرَةِ العِلْمِيَّةِ، وَلكِنْ مَخْزُونَهُمُ العِلْمِيُّ المتَرَاكِمُ لَا يُجْدِي نَفْعًا فِي أَيِّ مَكَانٍ؛ لَا يَقُودُ رَاكِبَ العِلْمِ قُدُمًا، وَلَا يَرْفَعُ أُمَّةً إِلَى العُلُوِّ العِلْمِيِّ. لِذَلِكَ، فَالجُرْأَةُ العِلْمِيَّةُ ضَرُورِيَّةٌ.».(لِقَاءُ طُلَّابِ وَأَسَاتِذَةِ جَامِعَةِ أَمِيرْكَبِيرَ الصِّنَاعِيَّةِ، ١٣٧٩/١٢/٩ هـ.ش).

٣. عَرْضُ مُقَوِّمَاتٍ أَسَاسِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ لِتَعْزِيزِ الإِبْسْتِيمُولُوجْيَا الدِّينِيَّةِ وَالإِسْلَامِيَّةِ:

فِي مُوَاجَهَةِ الشُّذُوذَاتِ النَّظَرِيَّةِ وَالعَمَلِيَّةِ المتَرَسِّخَةِ فِي العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، يُمْكِنُ مُلَاحَظَةُ غِيَابِ الأُسُسِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي تَشَكُّلِهَا بِوَضُوحٍ. يُمْكِنُ لِتَشَكُّلِ مُقَوِّمَاتٍ أَسَاسِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ فِي سِيَاقٍ مُعَاصِرٍ، مَعَ هَدْمِ هَيْكَلِ الأُسُسِ الغَرْبِيَّةِ، أَنْ يَكُونَ طَرِيقًا لِحَلِّ هَذِهِ المشْكِلَةِ. وَالاِسْتِثْمَارُ فِي هَذَا المجَالِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهِ قَدْ يَكُونُ طَوِيلَ الأَمَدِ، سَيُؤَسِّسُ لِقَاعِدَةٍ مُتَمَاسِكَةٍ لِعُلُومٍ أَسَاسِيَّةٍ لِلعُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

وَقَدْ حَذَّرَ قَائِدُ الثَّوْرَةِ المعَظَّمُ (حَفِظَهُ اللَّهُ) مِرَارًا فِي هَذَا الصَّدَدِ وَقَدَّمَ الحُلُولَ، مُؤَكِّدًا:

«لَقَدْ تَضَجَّرْتُ –مِرَارًا، وَآخِرُهَا الحِينُ– مِنَ المجْمَعَاتِ الجَامِعِيَّةِ بِشَأْنِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ: إِنَّ عُلُومَنَا الإِنْسَانِيَّةَ مُبْنِيَّةٌ عَلَى مُقَدِّمَاتٍ

وَأُسُسٍ تُنَاقِضُ أُسُسَ القُرْآنِ وَالإِسْلَامِ. فَعُلُومُ الإِنْسَانِ الغَرْبِيَّةِ قَائِمَةٌ عَلَى رُؤْيَةٍ لِلْعَالَمِ مُخْتَلِفَةٍ؛ قَائِمَةٌ عَلَى فَهْمٍ آخَرَ لِعَالَمِ الخَلْقِ، وَغَالِبًا مَا تَقُومُ عَلَى نَظْرَةٍ مَادِّيَّةٍ. حَسَنًا، هَذِهِ النَّظْرَةُ خَاطِئَةٌ؛ وَهَذَا الأَسَاسُ خَاطِئٌ».(لِقَاءُ نِسَاءٍ بَاحِثَاتِ القُرْآنِ فِي البِلَادِ، ١٣٨٨/٧/٢٨ هـ.ش).

وَأَضَافَ (حَفِظَهُ اللَّهُ):

«مَعَ كُلِّ هَذَا التَّأْكِيدِ عَلَى العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ، فَإِنَّهَا تُدَارُ تَقْرِيبًا بِنَفْسِ طَرِيقَةِ العُلُومِ الأَسَاسِيَّةِ، وَلَا تَزَالُ نَفْسُ المشَاكِلِ قَائِمَةً بِقُوَّتِهَا. لَقَدْ فَتَحْنَا أَذْرُعَنَا، وَالكَلِمَاتُ الَّتِي تُطْرَحُ الْآنَ فِي مَجَالَاتِ عِلْمِ الاجْتِمَاعِ، وَعِلْمِ النَّفْسِ، وَالتَّارِيخِ، وَحَتَّى الفَلْسَفَةِ وَالأَدَبِ، يُمْلَى عَلَيْنَا مِنَ الخَارِجِ».(لِقَاءُ أَعْضَاءِ مَجْلِسِ الثَّوْرَةِ الثَّقَافِيَّةِ العُلْيَا، ١٣٨٤/١٠/١٣ هـ.ش).

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، يَرَى قَائِدُ الثَّوْرَةِ المعَظَّمُ أَنَّهُ:

«يَجِبُ أَنْ نَعُودَ إِلَى ثَقَافَتِنَا الإِيرَانِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ لِكَيْ يَكُونَ لَدَيْنَا عُلُومٌ إِنْسَانِيَّةٌ فَعَّالَةٌ وَحَدِيثَةٌ. فَنَحْنُ فِي جُزْءٍ مِنْ تَخَصُّصَاتِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ، نُسَبِّقُ العَالَمَ بِقُرُونٍ. نَحْنُ أَكْثَرُ تَقَدُّمًا بِكَثِيرٍ مِنَ الَّذِينَ يُعْتَبَرُونَ رَائِدِينَ فِي هَذَا المِجَالِ فِي العَالَمِ اليَوْمَ. لِمَاذَا لَا نَتْبَعُ هَذِهِ؟ فَفِي مُخْتَلَفِ فُرُوعِ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ: الأَدَبِ، الفَلْسَفَةِ، التَّارِيخِ، الفَنِّ، لَدَيْنَا تَارِيخٌ طَوِيلٌ جِدًّا. وَهُنَاكَ بَعْضُ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ الأُخْرَى الَّتِي، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ أَتَتْ مِنَ الغَرْبِ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا أَمْعَنَّا النَّظَرَ فِيهَا، نَجِدُ أَنَّ عَجِينَتَهَا الأُولَى –وَهِيَ العَقْلَانِيَّةُ وَالتَّجْرِبِيَّةُ– قَدْ جَاءَتْ مِنَ الفِكْرِ وَرُوحِ إِيرَانَ الإِسْلَامِيَّةِ. فَأُورُوبَّا الخُرَافِيَّةُ لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَطِيعَ تَنْظِيمَ عِلْمِ الأَحْيَاءِ وَالاقْتِصَادِ وَالإِدَارَةِ وَعِلْمِ النَّفْسِ وَعِلْمِ الاجْتِمَاعِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ. إِنَّهَا هَدِيَّةُ تَيَّارِ العَقْلَانِيَّةِ وَالتَّجْرِبِيَّةِ الشَّرْقِيِّ، وَبِالتَّحْدِيدِ إِيرَانَ الإِسْلَامِيَّةِ، الَّذِي ذَهَبَ إِلَى هُنَاكَ وَأَدَّى إِلَى هَذَا التَّحَوُّلِ».(لِقَاءُ النُّخَبِ الشَّابَّةِ، ١٣٨٦/٦/١٢ هـ.ش).

٤. تَوَاصُلٌ مُرَاقَبٌ مَعَ الخُبَرَاءِ الغَرْبِيِّينَ:

يُعَدُّ إِقَامَةُ عَلَاقَاتٍ وَاسِعَةٍ بَيْنَ بَعْضِ الجَمَاعَاتِ الفِكْرِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ، وَالمثَقَّفِينَ أَوِ المدَّعِينَ لِلثَّقَافَةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، مَعَ مَرَاكِزِ الفِكْرِ خَارِجَ البَلَدِ، وَاحِدًا مِنْ عَوَامِلِ نَجَاحِ المثَقَّفِينَ الدِّينِيِّينَ فِي بَلَدٍ مِثْلِ إِيرَانَ. نَفْسُ هَذِهِ القَضِيَّةِ تُسَبِّبُ اطِّلَاعَ أَحَدِ الأَطْرَافِ وَالسُّلُوبِيَّةَ الدَّائِمَةَ لِلطَّرَفِ الآخَرِ. لِذَلِكَ، يُمْكِنُ بِتَخْطِيطٍ مُنَسَّقٍ عَكْسُ هَذَا المسَارِ وَالاِسْتِفَادَةُ مِنْ كِلَا الجَانِبَيْنِ.

٥. تَطْوِيرُ المذَاهِبِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي التَّخَصُّصَاتِ الجَامِعِيَّةِ:

وَيَعْنِي ذَلِكَ أَنَّهُ بَدَلًا مِنَ الاِهْتِمَامِ غَيْرِ المنَظَّمِ بِالمذَاهِبِ الفَلْسَفِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، يَجِبُ تَوْجِيهُ النَّظَرِ التَّعْلِيمِيِّ وَالبَحْثِيِّ نَحْوَ الدَّاخِلِ الثَّقَافِيِّ الإِيرَانِيِّ وَالإِسْلَامِيِّ. عَلَى سَبِيلِ المثَالِ، بَدَلًا مِنْ تَخْرِيجِ المئَاتِ مِنْ مُتَخَصِّصِي "كَانْت"، يَجِبُ التَّوَجُّهُ نَحْوَ "الفَارَابِي". وَتُعَدُّ هَذِهِ القَضِيَّةُ سِيَاقًا جَدِّيًّا لِوِلَادَةِ أَفْكَارٍ وَنَظَرِيَّاتٍ إِسْلَامِيَّةٍ إِيرَانِيَّةٍ فِي العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ.

٦. الإِصْلَاحُ الثَّقَافِيُّ مِنْ خِلَالِ إِصْلَاحِ فِكْرِ وَأَفْكَارِ مُنَفِّذِي النِّظَامِ:

وَفْقًا لِمَا ذُكِرَ فِي الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ مِنْ طَرَفَيْنِ (الشِّيعَةِ وَالسُّنَّةِ)، فَإِنَّ إِصْلَاحَ المجْتَمَعِ سِيَاسِيًّا وَفِكْرِيًّا مَرْهُونٌ بِإِصْلَاحِ النُّخَبِ السِّيَاسِيَّةِ وَالمفَكِّرِينَ وَالعُلَمَاءِ. وَقَدْ أَكَّدَ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى هَذَا الأَمْرِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي نَهْجِ البَلَاغَةِ، حَيْثُ قَالَ: «إِنَّ الوَالِيَ كَالنَّهْرِ العَظِيمِ، تَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ الصَّغِيرَةُ. فَإِنْ كَانَ مَاءُ ذَلِكَ النَّهْرِ العَظِيمِ عَذْبًا، كَانَ مَاءُ الأَنْهَارِ الصَّغِيرَةِ عَذْبًا؛ وَإِنْ كَانَ مِلْحًا أَجَاجًا، كَانَ مَاؤُهَا مِلْحًا أَجَاجًا».(شَرْحُ ابْنِ أَبِي الحَدِيدِ، بَيْرُوتَ، ١٣٧٨ هـ.ق، ج٢٠، ص ٢٧٩).

٧. الإِصْلَاحُ الثَّقَافِيُّ وَالدِّينِيُّ مِنْ خِلَالِ إِصْلَاحِ الهَيْكَلِ الاجْتِمَاعِيِّ:

كَمَا أَنَّ بُلُوغَ مُجْتَمَعٍ ذِي أَخْلَاقٍ وَثَقَافَةٍ فَاضِلَتَيْنِ يَتَحَقَّقُ بِتَنْظِيمِ مُعْتَقَدَاتِ أَفْرَادِ المجْتَمَعِ عَلَى أُسُسِ المعَارِفِ الإِلَاهِيَّةِ

وَالإِنْسَانِيَّةِ، وَإِصْلاحِ الهَيْكَلِ الاجْتِمَاعِيِّ وَفْقًا لِأَسَالِيبَ وَسُنَنٍ سَامِيَةٍ، فَإِنَّ وُقُوعَ المجْتَمَعِ فِي السُّنَنِ الخَاطِئَةِ وَالبَاطِلَةِ يَحْدُثُ أَيْضًا نَتِيجَةً لِهَيْكَلٍ مَرِيضٍ وَخَالٍ مِنَ الرُّوحَانِيَّةِ. وَقَدْ قَامَ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِإِصْلاحِ الهَيْكَلِ الاجْتِمَاعِيِّ عَلَى ثَلَاثَةِ مَحَاوِرَ رَئِيسِيَّةٍ:

الف. القَضَاءُ عَلَى الخِلَافَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ القَبَلِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَالَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الفَوْضَى وَانْهِيَارِ القِيَمِ الإِنْسَانِيَّةِ.

ب. مُحَارَبَةُ رُوحِ الاسْتِكْبَارِ وَحُبِّ الدُّنْيَا؛ وَقَدْ وردَتْ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ تُؤَكِّدُ عَلَى هَذَا، وَقَدْ أَكَّدَ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى ذَلِكَ فِي نَهْجِ البَلَاغَةِ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ، كَقَوْلِهِ: «إِنِّي أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ أَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَهَا سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا، فَيَتَنَاوَلُوا مَالَ اللَّهِ بَيْنَهُمْ دُولًا، وَيَتَّخِذُوا عِبَادَ اللَّهِ خَوَلًا...».

ج. مُحَارَبَةُ البِدَعِ وَإِحْيَاءُ السُّنَنِ الإِسْلَامِيَّةِ؛ وَقَدْ قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي هَذَا الشَّأْنِ: «الحَقُّ الَّذِي عَلَيْنَا لَكُمْ: العَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسِيرَةِ رَسُولِهِ، وَالقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَاتِّبَاعُ سُنَّتِهِ». وَفِي الخُطْبَةِ رَقْمِ ٥٠، حَذَّرَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَيْضًا مِنْ دَوْرِ البِدَعِ وَالفِتْنَةِ فِي الضَّلَالِ وَالغَوَايَةِ.